وكان «ضمّاد» في الأزد ذا مكانة روحية، تعلو به في عين الكبير والصغير. فقد اشتهر عنه أنّه على جليّة من بعض المعارف الغيبية التي يعدها الناس في الخوارق، إذ هي سحر أو كالسحر تدقّ على الأفهام والعقول، وتشرف بشاهدها وحاضرها على حيرة تسلّم إلى الانبهار والذهول، وهو صاحب علم بدُنى الجان، وهو قادر على اصطناع الرقى التي تُشفي اللُمَم[666]، وتُذهب بمسّ الشياطين. وقالت قريش فيما قالت لضمّاد: إنّ محمداً مجنون! فلم يدفعه قولها عنه، بل زاده رغبةً في لقائه، فخاطب نفسه: لو أنّي رأيت هذا الرجل لعلّ الله أن يشفيه على يدي! يروي ضمّاد: فأتيته، فقلت: يا محمد، إنّي أُرقي من الريح[667]، فإنّ الله يشفي على يديّ من يشاء، فهل لك؟ فقال رسول الله: «إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهد الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له...». ومضى النبي يحدّثه، والرجل مأخوذ بالحديث، كلّما كفّ محمد عنه استعاده: أعد عليّ كلماتك هؤلاء. حتّى إذا بلغ من حديث محدّثه مشتهاه، اطمأنّ قلبه بالإيمان، وقال: لقد سمعت قول الكَهَنَة، وقول السَحَرة، وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، هات يداك أبايعك على الإسلام. فبايعه، وقال: «وعلى قومك؟». قال ضمّاد: وعلى قومي يا رسول الله..، وعاد إلى قبيله يدعو إلى الدين الجديد[668]. * * *